النظام الدولي الجديد بين الطموح الأمريكي لقيادة العالم وتحديث الاستعمار الحديث

الدكتور غضبان مبروك
دائرة العلوم السياسية
جامعة باتنة

إذا كان من السهل إثبات الطموح الامريكي لقيادة العالم فإن الامر ليس كذلك بالنسبة لفكرة تحديث الاستعمار الحديث عن طريق فكرة النظام الدولي الجديد وذلك لأن هذا النظام لا يزال في طور التشكيل وبالتالي فهو شيء سابق لأوانه. وسنحاول هنا توضيح مفهوم النظام الدولي الجديد وكيف برز في هذا الظرف ، وما علاقته بظاهرة الانهيار السوفياتي، وكيف إستطاعت أمريكا أن تأخذ المبادرة ليس فقط في الاعلان عن هذا النظام بل وفي الدور الذي لعبته في تشكيله وتوجيهه الوجهة التي تخدم مصالحها، وذلك كله في إطار فرضية الطموح الأمريكي لقيادة العالم كخطوة أولى من أجل الهيمنة فيما بعد.

إنطلاقا من هذه الاشكالية المتعلقة بالأحادية القطبية والطموح الأمريكي للهيمنة، وعلى ضوء مجمل التساؤلات التي تم طرحها فإننا نعتقد بأن ما كتب حول هذا الموضوع لا يزال غير كاف ولكنه مهم لرسم معالم النظام الدولي الجديد الذي سيكون نقطة ارتكاز المجتمع الدولي للقرن الجديد من جهة والدور الأمريكي من أجل الهيمنة من جهة ثانية.

وإذا كانت الكتابات التي ظهرت حول الدور الأمريكي في قيادة العالم تعود إلى أواخر الثمانينات من هذا القرن وذلك على إثر ما اصطلح عليه بالتراجع السوفياتي، فإن الكتابات حول النظام الدولي الجديد وطبيعته وتشكله وفحواه تعود إلى إندلاع الحرب في العراق في 17يناير 1991، لذا فإن ما ظهر لحد الآن حول ما يسمى بالنظام الدولي الجديد لا يزال قليلا نسبيا. ورغم هذا فإن سباق رجال السياسة و الأكاديميين ورجال الاعلام من أجل إبراز هذا النظام وتقييمه، طبعا كل من وجهة نظره وانطلاقا من مصالحه، لا يزال متواصلا بحدة، وستكون مقالتنا هذه مشاركة متواضعة في توضيح بعض ملامح هذا النظام وذلك على ضوء الدور الأمريكي الهام في تشكيل هذا النظام وطموحها في قيادة العالم إنطلاقا من تصورها لهذا النظام وما يرتبه من إفرازات داخل المجتمع الدولي الذي يتأهب للدخول إلى القرن الواحد والعشرين.

لقد كثر الحديث في الآونة الأخيرة حول النظام الدولي الجديد والذي يعود الإعلان عنه إلى المنتصف الثاني من شهر جانفي 1991 عندما بدأ هجوم دول الأطلسي وحلفائها على العراق بقيادة أمريكا . في هذه الآونة وجه الرئيس الامريكي جورج بوش خطابا قصيرا للشعب الأمريكي جاء فيه: " أن ساعة تحرير الكويت قد بدأت وأن نظاما دوليا جديدا سيظهر بعد ذلك"[1]. ولكن السؤال المطروح هو الآتي: هل الإعلان عن النظام الجديد هو بداية هذا النظام؟ طبعا الجواب لا يكون كذلك لأنه لا يعقل أن يولد نظام ويموت نظام في لمح البصر، بل لابد أن تكون هناك ترتيبات سابقة للنظام الدولي الجديد، بمعني هناك خلفية تاريخية لظهور هذا المولود الجديد وذلك في الشكل على الاقل إن لم يكن في الجوهر. هذا من ناحية التوقيت. أما من حيث الجوهر فيمكن لنا أن نطرح عدة

تساؤلات حول جوهر النظام الدولي الجديد.

- هل يجب النظر إلى النظام الدولي الجديد من خلال إنهيار دولة عظمى واختفاء ايديولوجية عتيدة على الساحة الدولية .

- أم هل يجب النظر إليه من خلال اختفاء نظام الثنائية القطبية وتعويضه بالأحادية المعبر عنها بالهيمنة الأيديولوجية الليبرالية؟

- هل يجب النظر إليه من خلال ظهور أمريكا كدولة مهيمنة على العالم وحاملة للفكر الليبرالي؟

- هل يجب النظر إليه من خلال ظهور فكرة التكتلات أو التجمعات الإقليمية والتي قد تؤدي إلى العودة إلى نظام الأمبراطوريات القديمة؟

أم يجب النظر إلى النظام الدولي الجديد من خلال كل هذه الرؤى مجتمعة. ثم ماذا نعني بالنظام الدولي؟ وماهو الجديد في هذا النظام؟ ولماذا النظام الدولي الجديد؟ هل لأن القديم لم يكن فعالا أم لأن الجديد مرغوبا فيه أكثر؟ ومن طرف من ؟؟

هل يعني النظام الدولي الجديد أن إخلاء الجو لدولة واحدة تتولى مهمة تنفيذ القوانين الدولية أو إنشاء قوانين أخرى في بعض الحالات كما حدث في قضية الجنرال نوريغا رئيس باناما السابق والذي قبض عليه منذ سنتين تقريبا حكم عليه أخيرا من طرف المحاكم الامريكية بـ 120 سنة سجن نافذة، وكما يحدث الآن بخصوص المواطنين الليبيين واتهامهما في قضية تفجير طائرة بانام الأمريكية فوق سماء لوكربي باسكوتلندا. إن كل هذا الذي يحدث يعتبر من قبيل إفرازات النظام الدولي الجديد القائم على الفلسفة الغربية والأمريكية، فلسفة القوة. تلك القوة التي تصنع الحق وتحميه. وهذا المنطلق يعود حقا إلى القرن 19 أين سادت هذه الفلسفة ولا نستبعد إحياء فكرة "مشروعية الحرب" التي قضى عليها ميثاق الأمم المتحدة . سنحاول الإجابة على هذه الأسئلة ولكن سيكون التركيز على التفوق التدريجي التطوري والتاريخي للولايات المتحدة ورغبتها الشديدة في قيادة العالم والهيمنة عليه.

- مفهوم النظام الدولي الجديد:

ليس من السهل تعريف معنى النظام ولا إعطائه تحديدا واحدا شاملا جامعا لأن مختلف المفكرين يعرفونه تعريفات مختلفة، فهذا الدكتور محمد بجاوي يعرف النظام من الناحية القانونية فيقول عنه أنه : " مجموعة القواعد التي تحدد السلوكات في المجال الإقتصادي الدولي دون إفتراض قيام الانسجام والوافق بينها"[2]!!

وفي تقرير نادي روما لعام 1979 ، والذي أعد من قبل مجموعة من الشخصيات العلمية والسياسية والفكرية تحت عنوان إعادة تشكيل النظام الدولي جاء مايلي: " أن النظام الدولي هو ذلك النظام الذي يتضمن " مجموع العلاقات والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية والتي تربط الأفراد الذين يعيشون في دول مختلفة ".[3]. ولا يعني هذا التعريف أكثر من القول بأن النظام الدولي هو النظام القائم، وهو تعريف قد لا يكون معبرا لأنه يتصف بالعمومية والغموض. لذا فيجب البحث عن تعريف يتسم بالشمولية والدقة،ولعل هذا ما يجعلنا نقول بأن النظام الدولي ماهو إلا البناء المتداخل والمتكامل من العناصر المادية وغير المادية والتي يكون لكل منها دور في هذا البناء، وإذا ما كف عنصر ما عن القيام بوظائفه ودوره المحدد له، فإن النظام قد يسقط[4]. وقد سقط فعلا النظام الدولي أثناء مرحلة ما يعرف بالمجتمع الدولي المعاصر عدة مرات أهمها فترات إنهيار توازن القوى في 1808 (هجوم نابليون على أروبا) و 1914 (الحرب العالمية الأولى) و1939 (الحرب العالمية II) ثم في منتصف الثمانينات على إثر التراجع السوفياتي، وفي كل مرة يولد نظام دولي على أشلاء الملايين من البشر كما يولد من رحم معاناة عالمية رهيبة خاصة النظام العالمي الذي أنجبه مؤتمر باريس عام 1919 والنظام العالمي الذي أعقب مؤتمر يالطا (1945). ويبدو من خلال هذه الأمثلة أنه في كل مرة يعيد التاريخ نفسه، فما من نظام يقوم مقام نظام آخر إلا وتتكرر فيه مجموعة من العناصر التي تشكل الظروف السابقة للنظام والمولدة له مثل:

1 - أن كل نظام دولي تسبقه حرب أو حروب رئيسية .

2 ـ أن كل نظام دولي يفرز مجموعة من الدول التي تعتبر الاطراف الأكثر فاعلية فيه .

3 ـ أن كل نظام دولي يرغب في إقامة توازن للقوى وإعادة الأمور إلى الوضع الذي يعتبر طبيعيا.

4 ـ أن كل نظام دولي ينتج ميكانيزمات وآليات جديدة تساهم في العمل على إرساء قواعد السلم والأمن الدوليين. فإذا تفحصنا ما ترتب عن مؤتمر فيينا لعام 1815 ومؤتمر باريس لعام 1919 ومؤتمر يالطا لعام 1945 فإننا نلاحظ بدون شك ظهور آليات دولية يخول لها مهمة تشجيع التعاون بين الدول وإقامة السلم بينها مثل:

1 ـ التحالف المقدس الذي أنشأ فيما بين الدول الأوربية ليجنبها مفاجآت المستقبل والعمل على إقرار وحفظ مبدأ توازن القوى في العلاقات الدولية. وقد أنشأ هذا التحالف بين أباطرة روسيا وبروسيا والنسما وملوك فرنسا والسويد والنرويج واسبانيا والبرتغال وهولندا والدانمارك وبريطانيا.

2 ـ عصبة الأمم التي ظهرت على إثر مؤتمر باريس وكان هدفها الأساسي يتمثل في العمل على منع حدوث حروب أخرى وإقرار قواعد حل المنازعات الدولية بالطرق السلمية كما سبق وأن أوصى بذلك مؤتمري لاهاي لعام 1899 ـ 1907 .

3 ـ الأمم المتحدة والتي ظهرت على إثر مؤتمر يالطا والذي توصل فيه (روسيا وأمريكا) إلى الموافقة على ميثاق الأمم المتحدة وكان هذا الميثاق يختلف كثيرا عن عهد عصبة الأمم من حيث الصلاحيات المخولة إلى الأجهزة التنفيذية للمنظمتين ومن حيث مجال النشاطات الذي لم يقتصر على مسائل الحرب والسلم أو مسائل فض المنازعات

ولكن أكثر من هذا تشجيع التعاون الاقتصادي وتوسيعه.

وإذا كان النظام الدولي في هذه الحالات الثلاثة متشابه من حيث الظروف التي تولد فيها كالحروب التي أتت على الملايين من البشر وإلحاق الخراب والدمار بالبلاد والعباد و ظهور القوميات والشعوب والدول الجديدة وتوسيع رقعة المجتمع الدولي ليضم الدول غير الأوروبية ... الخ وكذلك من حيث تشكيله فيما بعد، فإن النظام الدولي المزمع إقامته الآن يختلف كثيرا عن ذلك. فهو نظام يظهر في ظروف تتسم بالطابع السلمي أكثر من الطابع الحربي الشامل رغم أن الكثير يذهب الى القول بأن ظروف العدوان الأطلسي وحلفائه على العراق لا تختلف كثيرا عن ظروف ظهور النظام الدولي في المراحل التاريخية السابقة والفرق الأساسي يكمن في سرعة الحرب هذه المرة مما منع من توسيع نطاقها[5] ولكن يبقى أن النظام الدولي الجديد قد ولد هذه المرة من رحم معاناة الشعب العراقي ومن انهيار الإمبراطورية الشيوعية في المعسكر الشرقي وانتشار الموجة الديموقراطية وبروز فكرة الإقتصاد الدولي الجديد والنظام الاعلامي الدولي فيما بين السبعينات ومنتصف الثمانينات من هذا القرن. كما يختلف النظام الدولي الجديد عن ظروف النظام الدولي لما بعد الحرب العالمية الثانية. فالنظام الدولي الجديد لم يكن نتيجة لحرب شاملة ومدمرة وبين مجموعتين من القوى ولم تستغرق فيه مدة الحرب فترة طويلة، لكن كان بين دولة نامية "غير عظمى" وبين مجموعة من الدول وتمت تحت غطاء عملية الشرعية الجماعية .كما أن النظام الدولي الجديد لم يكن نتيجة لعمل سياسي جماعي كما حدث بخصوص النظام الاقتصادي الدولي الجديد. بل أعلن من قبل دول عظمى وباتفاق مجموعة الدول الكبرى وذلك لخدمة أغراض هذه الدول بالدرجة الأولى. ولعل هذا الاختلاف في الظروف وفي الأسباب وفي الأهداف هو الذي جعل الكثير يطرح تساؤلات عديدة حول مفهوم هذا النظام ومدى صحته وأهدافه، فهل نحن حقا بصدد نظام دولي جديد أم أننا بصدد نظام دولي متجدد فقط؟ وهل هذا النظام الدولي الجديد فرضية أم واقع؟ كما يذهب إلى ذلك الدكتور عبد أساعف المتأثر بالفلسفة اللينينية. فهو يعتبر أن المرحلة التاريخية هي تلك المرحلة"

التي تنطبق على مجموعة من الوقائع والحروب ذات الطبيعة المختلفة والتي تكتسي طابعا عاما أو خاصا مميزا حتميا أو عرضيا...[6] إن تأثر الدكتور أساعف بتعريف لينين للمرحلة التاريخية جعله يميل أكثر إلى تأكيد فكرتين أساسيتين هما :

أولا : أن هناك معطيات عديدة تبين أن الجديد قد تحقق على مستوى العلاقات الدولية مثل: تحقيق الوحدة الالمانية واختفاء حلف وارسو وتعزيز التفاعل بين شطري أوربا وبروز التطور الفعلي لمفهوم البيت الأوربي المشترك وتشكل الأحادية القطبية.

ثانيا: أن كل ما يحدث هو من قبيل المرور "فقط من مرحلة قديمة إلى مرحلة جديدة في إطار النظام القائم منذ الحرب العالمية الثانية"[7] بمعنى أن الاستمرارية أقوى من القطيعة وبالتالي فإن النظام العالمي الجديد مجرد فرضية وليست واقعا قائما اليوم . ولكن لا يتسعبد الدكتور أساعف نشوء نظام دولي جديد. إلا أن هذا القول مردود عليه لأن ما يحدث من تغييرات، وخاصة إنهيار النظم الشيوعية بكاملها ليس مجرد تغيير في إطار الاستمرارية وإنما تغيير في إطار القطيعة مع الماضي كما سيتضح ذلك من خلال ما سيأتي .أما الأستاذ أبو القاسم خشيم فلا ينكر قيام نظام دولي جديد ولكنه لا يزال محل اختلاف بخصوص التصورات والملامح مما جعله يقول أن هذا النظام يختلف في مفهومه من دولة إلى أخرى. فالمفهوم الأمريكي للنظام الدولي الجديد ليس مثلا هو نفس مفهوم الصين أو دول العالم الثالث نظرا لاختلاف الأسس المعلنة للنظام الدولي الجديد كسيادة المبادىء الديموقراطية وفض المنازعات بالطرق السلمية والعمل الجماعي في إطار ما يعرف بالشرعية الدولية ونزع السلاح والرقابة على التسلح، كما أن الاختلاف في التصور يعود إلى الأسس والنيات غير المعلنة لهذا النظام، مثل بسط السيطرة والهيمنة الأمريكية على العالم ومحاربة كل التقاليد والقيم غير الحزبية والتدخل في الشؤون الداخلية للدول تحت غطاء "الشرعية الدولية"[8]

التطور التاريخي لظهور النظام الدولي الجديد

رغم أن الكثير يرجع بداية النظام الدولي الجديد إلى منتصف الثمانينات أي بعد وصول غورباتشوف إلى الحكم وبعد نهاية الحرب الباردة الثانية (1979 ـ 1985) فإن الأمر ليس بهذه السهولة . لأن الدول الغربية كانت دائما وأبدا ضد نظام دولي تشارك في تسييره وتوجيهه الدول غير الرأسمالية. فهي رغم خضوعها نسبيا وظاهريا ومؤقتا في فترة السبعينات لمطالب الدول النامية فإنها ما لبثت أن تمردت على ذلك في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات عندما فشلت مفاوضات الشمال ـ الجنوب في تقريب الفجوة التي تفصل بين عالم الأغنياء والفقراء في الميادين الاقتصادية والتكنولوجية . وعموما يمكن القول بأن السنوات الأولى للثمانينات كانت قد اتسمت بوقوع مجموعة من الأحداث التي تشكل في مجموعها تراجع النظام الشيوعي أمام النظام الرأسمالي الغربي وعودة هذا الأخير إلى السيطرة على مجريات الأمور. ومن أهم الأحداث التي وقعت يمكن على الخصوص ذكر ما يلي:

1 ـ إنتصار الثورة الإسلامية في إيران والذي أدى فيما بعد إلى نشوب حرب عراقية إيرانية دامت أكثر من ثمانية سنوات ترتب عنها إضعاف شوكة دول العالم الثالث في شكل حركة عدم الإنحياز.

2 ـ دخول القوات الإسرائيلية إلى لبنان واحتلالها لبيروت وإخراجها للقوات الفلسطينية من لبنان دون أن يحرك كل هذا ساكن النظم العربية مما فسر بأنه مؤشر ضعف في العالم العربي وتواطأ القوى الكبرى.

3 ـ دخول الإتحاد السوفياتي مرحلة الإستقرار السياسي ـ القيادي وذلك بعد موت كل من بريجنيف وأندروبوف ثم لحقهما مباشرة شرنينكو الذي لم يدم في السلطة سوى سنتين، حيث خلفه غورباتشوف.

4 ـ ظهور نقابة بولندا بقوة بعد تدعيمها ماليا وإعلاميا ومعنويا من طرف الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا.

5 ـ إصرار القيادة الامريكية على مبادرات حرب النجوم وبالتالي إجبار القادة السوفيات على تخصيص ميزانية أكبر للدفاع أو الانسحاب من المنافسة العسكرية وإخلاء المكان لأمريكا وهو ما حدث فعلا في الفترة الريغانية الثانية 1984 ـ 1988 والتفوق الأمريكي في قمة ريكارڤيك بنيوزلندا (1986) .

6 ـ إستفحال الأزمة الاقتصادية فيما بين 1984 ـ 1986 في العالم الغربي وانتشارها في العالم الثالث والعالم الشرقي مما أضعف كثيرا هذه الدول وجعلها تتراجع تدريجيا عن سياساتها الاقتصادية وتوجهاتها الأيديولوجية.

7 ـ استمرار الحرب الأفغانية ـ السوفياتية وعدم قدرة هذه الأخيرة على سحق المعارضة الإسلامية رغم التفوق العسكري من جهة وانقسام الفصائل المقاتلة من جهة ثانية مما أكد التنبؤ الذي ظهر في بداية الغزو السوفياتي لأفغانستان من أن الاتحاد السوفياتي واقع في فيتنام ثانية .

8 ـ وصول غورباتشوف الى الحكم ودخول الإتحاد السوفياتي مرحلة جديد في مسيرته التي دامت حوالي 70 سنة بدون إنقطاع. مسيرة تتسم بالإنضباط والصرامة والصراع من أجل نشر الأيديولوجية الشيوعية عبر العالم أو على الأقل الدفاع عنها في وجه التحدي الامبريالي الغربي والصهيوني والاستعمار الجديد. وقد بدأ التحول يحدث على المستوى الداخلي للإتحاد السوفياتي وهذا بعد أن أعلن الزعيم السوفياتي ميخائيل غورباتشوف عن إتخاذه لمجموعة من الإجرءات عرفت في البداية كإصلاحات في الجهاز البيروقراطي والإصلاح الزراعي. ثم توج إصلاحاته بالإعلان عن سياسة البروسترويكا والغلاسنونست. أي إعادة الهيكلة والشفافية من أجل معالجة العوامل الذاتية والفساد الأخلاقي وتفشي البيروقراطية[9]. وفي هذا الصدد كان يؤكد السيد غورباتشوف أن التغيير الذي يحدث في البلاد يجري "بالتطابق مع الخيار الاشتراكي" ويضيف "فنحن نقيس كل نجاحاتنا واخفاقاتنا بمقاييس إشتراكية. أما أولئك الذين يأملون أن ننحرف عن دروب الاشتراكية فستصيبهم الخيبة المرة " إن برنامج إعادة البناء كليا يقوم على مبدأ:

مزيدا من الإشتراكية ... ميزدا من الديمقراطية[10] لكن الذي حدث هو العكس تماما . فكان هناك قليلا من الاشتراكية وكثيرا من الديمقراطية ليس فقط على المستوى الداخلي (السماح بهجرة اليهود إلى الخارج، وإلغاء قيود التحرك داخل الإتحاد السوفياتي، والسماح بامتلاك البيوت والانفتاح التدريجي على الغرب وعلى بضائعه ومنتوجاته وتوسيع دائرة النشاطات الثقافية مع الدول الغربية) وإنما أكثر من ذلك على المستوى الخارجي حيث وقع إنقلاب في السياسة الخارجية السوفياتية وفي مفاهيم الصراع شرق - غرب وكذلك في مواقف الاتحاد السوفياتي من مفهوم النظام الاقتصادي الدولي الغربي والذي كان أحد العوامل الرئيسية في التفوق الغربي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية وإعلان هذه الأخيرة عن إقامة نظام دولي جديد، فكيف حدث كل هذا ؟

النظام الدولي الجديد من خلال الإنهيار السوفياتي والتفوق الأمريكي:

إن التحدث عن النظام الدولي الجديد من حيث النموذج الذي كان سائدا في توزيع القوى (الثنائية القطبية) يحتم علينا التحدث عن طرفي المعادلة وهما الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية من خلال أهدافهما وطموحاتهما ليس فقط طيلة الربع قرن الأخير من تنافسهما (1962 - 1987) في ظل مرحلة الوفاق الدولي، ولكن للعودة إلى الوراء قليلا لندرك بعمق إستراتيجية كل دولة وطموحات وسلوكاتها المتطابقة مع تلك الاستراتيجيات والطموحات وتكون نقطة البداية هي الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها تملك تاريخا يعد أكثر تواصلا واستقرارا ووضوحا في هذا المجال.وعليه فسنعالج تحت هذا العنصر ثلاثة نقاط أساسية: الأسلوب الأمريكي للتفوق من خلال تطوير استراتيجية الهيمنة ثم التعرض إلى السياسة الخارجية الأمريكية، من مبدأ مونرو إلى جورج بوش أي منذ 1823 - 1993 ثم الإنهيار السوفياتي وفكرة النظام الدولي الجديد:

أولا: الأسلوب الأمريكي للتفوق من خلال تطوير استراتيجية الهيمنة:

لاشك أن كل دولة مثلها مثل أي كائن حي، تسعى إلي تحقيق مجموعة من الوظائف والأهداف في فترة زمنية معينة وتستعمل في ذلك مختلف الوسائل المتاحة، أو تبحث بجدية عن الوسائل غير المتاحة، وعموما فإن كل دولة تسعى إلى تحقيق الآتي:

1 ـ العيش في أمن واستقرار داخلي.

2 ـ العمل على حماية نفسها من أية أخطار تهدد كيانها ووجودها (كالتمزق الداخلي أو التهديد الخارجي) .

3 ـ الزيادة في قوتها وهيبتها ونموها.

4 ـ التوسع خارج حدودها بصفة تدريجية وسلمية إن أمكن ذلك.

5 ـ محاولة تكريس هيمنتها وفرض نفسها على الدول المجاورة أو غير المجاورة باستخدام مختلف الوسائل السلمية كالوسائل الثقافية والتجارية والأيديولوجية أو عند الضرورة اللجوء إلى القوة العسكرية في حالات بروز أي شكل من أشكال المقاومة.

6 ـ العمل على تكريس الوصاية على الشعوب غير التابعة لها نتيجة لشعورها بعقدة التفوق.

وعموما تستعمل الدولة مجموعة من الإستراتيجيات والوسائل المختلفة للقيام بهذه الأعمال وتجسيدها في عالم الواقع. والاستراتيجيات تتراوح بين التوسع التدريجي والتوسع السريع، أما الأساليب فتكون في شكل الترغيب أو الترهيب والتحدي. وعليه فإ الدولة من هذه الناحية لا تختلف عن الانسان العادي، لأن الدولة في نهاية الأمر ماهي إلا تنظيم بشري أكثر من تنظيم مادي أو هيكلي.

في هذا الصدد فإن المتمعن في أهداف الولايات المتحدة الامريكية والاستراتيجيات التي تبنتها من أجل تحقيق حلمها التوسيعي ثم محاولة فرض الهيمنة

والوصاية على الشعوب، مختلف الأساليب المتبعة خاصة منذ 1823 وهو تاريخ إعلان مذهب جيمس مونرو (الرئيس الأمريكي أنذاك) ـ لغاية يومنا هذا، يدرك بأن أمريكا لم تخرج عن المألوف ولم تختلف عن الامبراطوريات التي سبقتها، مثل الامبراطوريات الإسبانية والبرتغالية خلال 1500 ـ 1700 والامبراطوريات البريطانية والفرنسية (1700 ـ 1900) ثم ألمانيا واليابان ضد كل العالم وأخيرا الإتحاد السوفيات وأمريكا خلال الأربعين سنة التي مضت[11] واليوم يبدو أن أمريكا تريد أن تكون امبراطورية الامبراطوريات خلال مسيرتها التاريخية القصيرة نسبيا (1823 ـ 1993) أي منذ الإعلان عن مذهب مونرو إلى سياسة جورج بوش كما سيتضح من خلال عرضنا للمذاهب المختلفة.

ثانيا: من مذهب مونرو إلى سياسة بوش 1823 ـ 1993

في عام 1823 أعلن الرئيس الأمريكي جيمس مونرو عن مبدئه المشهور والذي عرف فيما بعد باسم "مبدأ مونرو" والذي يقوم على مقولة "أمريكا للأمريكيين" وبموجب هذا المبدأ يحق لأمريكا، ولأمريكا وحدها أن تبسط نفوذها على القارة الأمريكية وأن تتدخل في شؤون هذه الشعوب دون غيرها وأصبح بالتالي مبدأ التدخل مبررا بهذه السياسة الجديدة، مقابل مبدأ الإحتلال الذي أقره مؤتمر برلين لعام 1878 فيما بعد والذي يجيز تقسيم الأراضي الافريقية بين فرنساوبريطانيا وبعض الدول الأوربية الأخرى بأقل درجة ومنذ 1823 فإن التدخلات الامريكية لم تتوقف في القارة الامريكية بحيث تجاوزت 50 تدخلا ونصبت بالقوة العسكرية رؤساء جمهوريات وحكومات لهذه الدول على الرغم من أنها (كانت) مستقلة من الناحية النظرية. وتتمثل بعضا من هذه الأعمال التدخلية في الآتي.

ـ 1855 قامت قوات أمريكية أطلق عليها إسم "كتائب الخالدين" بغزو دولة نيكاراغوا ونصبت قائد قوات الغزو (وليم ولكر) رئيسا لينكاراغوا واعترفت به واشنطن رئيسا لجمهورية نيكاراغوا.

ـ 1915 قوات البحرية الأمريكية بقيادة الأميرال (كابرتون) تغزو هايتي وتقيم

حكومة وقضاة وإداريين لغاية 1933 .

ـ 1916 قامت أمريكا بغزو جمهورية سانتو دومينغو بقيادة الجنرال (أتس . اس . ناب) واختلالها واسقاط حكومتها وتعيين حكومة عسكرية مكانها .

ـ 1945 المخابرات الأمريكية تتولى تدريب وتسليح وتمويل مجموعة من اللاجئين السياسيين من غواتيمالا من أجل إسقاط حكومة (جاكوبوأربينت) عقابا له على تأميمه ممتلكات شركة الفواكه الأمريكية في غواتيمالا لتنصب رئيسا يرعى مصالحها.

ـ 1961 تتولى أمريكا تسليح وتدريب وتمويل مجموعة من اللاجئين الكوبيين المقيمين في أمريكا لترسلهم في زوارق بحرية إلى خليج الخنازير في كوبا لإسقاط نظام كاسترو ولكنها هذه المرة فشلت.

ـ 1965 تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بارسال 30000 جندي لإحتلال جمهورية سانتو دومينيغو، كما تقوم أمريكا بالتدخل في جمهورية الدومنكان .

ـ 1973 تسقط أمريكا نظام الرئيس أليندي في الشيلي وتعوضه بنظام الجنرال بنوشي نتيجة لإقدام سلفادور اليندي على تأميم مناجم الذهب والحديد وغيرها ونتيجة للموافقة الدولية المحترمة في تلك الفترة.

ـ 1983 ترسل أمريكا 1900 عسكري من قوات المشاة البحرية (المارينز) إلى جزيرة غيرنادا حيث إحتلتها وأسقطت نظام الحكم فيها. وأقامت فيها حكما جديدا تحت رعايتها[12].

بالإضافة إلى هذه التدخلات في القارة الأمريكية، فإن أمريكا قد مارست أسلوب التدخل بأشكاله المختلفة (العسكرية والإقتصادية والإنسانية) في العديد من مناطق العالم مثل لبنان (1958)، الفيتنام (1965 ـ 1973) إيران (1950) بينما تدخلت في بنما 8 مرات، حتى تمكنت من فصلها عن كولومبيا واعلان استقلالها عام 1903 ومنذ ذلك الوقت والقوات الأمريكية تتواجد بهذه الدويلة وتعدادها العسكري يتزايد باستمرار وتحرشاتها لا تتوقف وآخرها كان عام 1989 حيث تولت قوات بتعداد 32000 عسكري

وبقيادة الجنرال (ماكسويل ليرما) إحتلال بنما وإبادة أحياء سكنية بكاملها في العاصمة واعتقال رئيسها نوريغا الذي تمت محاكمته في أمريكا وأصدر في حقه الحكم بـ 120 سنة سجنا نافذة بتهمة تورطه في التجارة بالمخدرات.(13)

وإذا كان ليس بالامكان تتبع التجاوزات الأمريكية لسيادة الدول وحقوق الشعوب، وأحكام القانون الدولي لكثرتها واختلاف تنوعها فإن ذلك لا يقلل من معرفة الوجه الحقيقي للديمقراطية الأمريكية المزيفة، وادعاءاتها بإقامة نظام دولي تسوده العدالة والإنصاف والإخاء والرفاهية. إن ما تم ذكره لا يشكل في الحقيقة "غيض من فيض" ولكن كان لفضح النوايا الأمريكية والتعبير عن رغبتها في إيجاد مكانة لها تحت الشمس المشرقة في أنحاء المعمورة. فخلال مسيرة تزيد عن القرن والنصف (1823 ـ 1993) وأمريكا تشهد نموا مطردا في مجموع قواتها الإقتصادية و السياسية والتكنولوجية والعسكرية. هذه الأخيرة كشف عنها أحدث تقرير قدم من طرف وزارة الدفاع الأمريكية إلى كل من الرئيس والكونغرس عام 1990 مفاده "أن للولايات المتحدة الأمريكية ما يقارب 510 ألاف رجل وامرأة من الجنود المنتشرين خارج البلاد ..."(14) ونتيجة لقدرتها الإنتاجية المعززة والقومية فإن أمريكا لم تجد صعوبة في تحمل أعباء الدفع وتزويد هذه القوات بالأسلحة الأكثر تطورا.

وإذا سئل الفرد الأمريكي عن سبب تواجد هذه القوات العسكرية خارج أمريكا فإنه يجيب بكل بساطة لحماية الديمقراطية وإشاعة السلام بين الأمم والحفاظ على السلم والأمن الدوليين ومنع الزحف الشيوعي والخطر الديكتاتوري، إلى غير ذلك دون التطرق إلى هدف الهيمنة والدفاع عن المصالح الأمريكية إلا نادرا، وهذا يعود إلى سبب بسيط وواضح مفاده أن الإنسان الأمريكي يلقن دائما مجموعة من القيم والتصريحات التي تم تسجيلها عبر الزمن تحت إسم القيم الأمريكية American values ويتصدر هذه القيم الديمقراطية وحرية التعبير والمساواة والقوة، وخاصة هذه الأخيرة التي تغنى بها الكثير من الزعماء الأمريكيين عبر التاريخ وجسدوها من خلال العديد من سياساتهم تحت إسم

المذاهب الشهيرة مثل مذهب ترومان 1947 ، ومذهب إيزنهاور 1957 ، ومذهب نيكسون 1973 ومذهب كارتر 1980 ومذهب ريفن 1986 والآن مذهب جورج بوش 1990 فما فحوى كل هذه المذاهب وهل تجسدت في الميدان الدولي؟ وإلى أي مدى؟

إن مذهب ترومان جاء في وقت ملائم جدا للولايات المتحدة الأمريكية والمتمثل في الإعلان عن مشروع مارشال القاضي بإعادة بناء أوربا الغربية وإزالة كل آثار الخراب والدمار من جراء الحرب العالمية الثانية. كما أن أمريكا استطاعت الخروج من هذه الحرب بأقل ضرر مقارنة بباقي الدول الأخرى. بينما قواتها العسكرية كانت متواجدة في كثير من مناطق العالم لذا فإن هاري ترومان، ومن أجل توسيع النفوذ الأمريكي في البحار والمحيطات بالتوازي مع توسعها في البر، أعلن عن مبدئه المشهور بأن السيادة الإقليمية البحرية الأمريكية سوف تمتد إلى الجرف القاري ولا تتوقف عند حدود المياه الاقليمية وأن الجرف القاري يمكن أن يصل إلى طول 300ميل بحري حوالي (480 كلم) وهذا ما يسمح لأمريكا بأن تبسط نفوذها وسيادتها على أجزاء كبيرة من المساحات المائية وبالتالي يمكن لها أن تستولي على الثروات الحية وغير الحية الكائنة في هذه المناطق، وهذا الإعلان لم يعجب القادة السوفيات أنذاك لأنه كان بمثابة عدوان غير مباشر على مصالح الشعوب الضعيفة والفقيرة، والتي تفتقد إلى الوسائل التكنولوجية البحرية اللازمة للمشاركة في الإنتفاع بهذه الثروات. أكثر من هذا فإن أمريكا وعلى لسان ترومان، تعلن عزمها على الوقوف في وجه التوسع السوفياتي واحتوائه إن أمكن ذلك وفي أسرع وقت ممكن ،وهذا ما جعل ستالين يقف موقف المتحدّي والعنيد. ولعل هذا ما عمق في الحرب الباردة التي بدأت بين المعسكرين الغربي بزعامة أمريكا والشرقي بزعامة الإتحاد السوفياتي مباشرة بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية وتشكيل الأمم المتحدة والشروع في تنفيذ سياسة مناطق النفوذ. فالحرب الباردة الأولى كما يذهب إلى ذلك الكثير من المتتبعين إستغرقت حقبة كاملة أي ما بين (1945 ـ 1955) أو ما يعرف المرحلة الستالينية الأخيرة[15] ثم تلتها فترة التعايش السلمي أو مرحلة الوفاق الدولي من 1956 ـ 1978 وهي الفترة التي حكم

فيها خروتشوف ثم بريجنيف من جهة الاتحاد السوفياتي، و إيزنهاور وكيندي وجونسون ونيكسون وكارتر من جهة الولايات المتحدة الامريكية، وتعتبر هذه الفترة بطولها وبتطوراتها من أخصب المراحل وأعقدها لأنها شهدت ميلاد العديد من الدول الجديدة والمنتمية إلى ما يسمى بالعالم الثالث.

هذه الدول الجديدة رفعت مطالب وتحديات جديدة في شتى المجالات مما جعلها تجد لنفسها مكانة خاصة خلال فترة السبعينات. وفي عام 1979 يعود العالم مرة أخرى إلى الحرب الباردة وتنتهي بذلك فترة التعايش السلمي وهذا بعد تدخل القوات السوفياتية في أفغانستان وانهيار التواجد الأمريكي في إيران على إثر قيام الدولة الإسلامية في إيران مقام حكم الشاه. وتظهر هكذا عناصر جديدة في العلاقات الدولية الإقليمية مما جعل أمريكا تبحث مرة أخرى، من أسباب التفوق، وليس فقط مجرد إقامة توازن في المنطقة. ولكن فترة التعايش السلمي لم تخلو من جانبها من التنافس والبحث عن التفوق. بالعكس، في هذه الفترة ظهرت عدة سياسات واستراتيجيات أمريكية جاءت في شكل مذاهب (Doctrines) أهمها مذهب دالاس - إيزنهاور (1957) ومذهب نيكسون (1973) ومذهب كارتر(1980) ومذهب ريغن (1986) وصولا إلى سياسة جورج بوش وفكرة النظام الدولي الجديد الذي يقوم على الهيمنة الأمريكية وقيادة العالم.

بمقتضى مذهب دالاس - ايزنهاور " يخول لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية إرسال قوات أمريكية إلى هناك (يعني إلى المناطق الساخنة) إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك" هذا التخويل يعني أن الرئيس الأمريكي يملك صلاحية إرسال القوات العسكرية دون اللجوء إلى الكونغرس الأمريكي الذي هو صاحب الأمر الأول والأخير.

مذهب نيكسون: جاء في الوقت الذي بدأت فيه الحرب الفيتنامية تقترب من النهاية والنظام الإقتصادي الدولي الجديد بدأ يتشكل بقوة وبأكثر وضوح واندفاع في المنتصف الثاني من السبعينات. في هذه الفترة أعلن نيكسون عن فكرة " التواجد الدائم للقوات البحرية الأمريكية في الكثير من المناطق المائية الساخنة مثل الخليج والبحر

الأبيض المتوسط، وخليج المكسيك وأمريكا الجنوبية " وأصبح بالتالي الأسطول السادس يجوب الكثير من البقاع. وقد عبر عن هذا الأمر السيد جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية الأمريكي آنذاك بقوله بأن " مرابطة القوات المسلحة الأمريكية في منطقة الخليج سوف ترتدي أهمية نفسية، وعسكرية وسوف تشكل مصدرا للهدوء والسكينة"[16] وأهمية منطقة الخليج والشرق الأوسط تبرز كما يؤكد ذلك فاسليت من خلال اعتبارها " منطقة استراتيجية ثالثة في نظر الساسة الأمريكان والذين اختلفوا في كيفية ودرجة تواجدهم وهيمنتهم عليها. فكان هناك رأيان أو اتجاهان: اتجاه يدعو إلى استعمال القوة، أي الضغط العسكري على بلدان هذه المنطقة أو حتى احتلالها. واتجاه يركز على التفاهم مع النظم الحاكمة وإعطائها دور المشاركة "والتبعية المتبادلة" وتحويلها إلى أنظمة في شكل شركاء صغار، مربوطين ربطا محكما بواشنطن في مختلف الميادين السياسية والإقتصادية والعسكرية. ويبدو أن الخيار الثاني هو السائد والمتبع اليوم ولكن هذا لم يمنع اللجوء إلى الخيار الأول فحرب الخليج أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن أمريكا مستعدة لاستعمال القوة إذا ما رأت أن ذلك يخدم مصالحها حتى ولو كان ذلك على حساب الملايين من الأبرياء وحتى ولو أدى ذلك إلى خرق القوانين والأعراف الدولية.

أما مذهب جيمي كارتر فإنه يتمثل في " توسيع المهام الإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية بما فيها حماية الخليج العربي، وخاصة ايران، من عدوان أجنبي محتمل" وفي هذا الصدد أمر كارتر في سبتمبر 1977 باستعداد القوى المتحركة لأجل الدفاع عن الشرق الأوسط وكوريا الجنوبية في حال تعرضها لأي هجوم خارجي خاصة من الإتحاد السوفياتي. وفي 1979 يقرر كارتر إنشاء "فيلق الإنتشار السريع" لأجل القيام بعمليات في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية. وقد سبق هذا القرار إعلان وزير الدفاع الأمريكي آنذاك "براون" في 23 فبراير 1978 عن المذهب العسكري الأمريكي الجديد بقوله : " بما أنه توجد في هذه المنطقة أضخم احتياطيات للنفط في العالم فلا يمكن فصل الشرق الأوسط والخليج العربي عن أمننا وأمن الناتو وحلفائنا في آسيا"[17] وفي هذه السنة تم إدراج

الخليج العربي صراحة في منطقة " المصالح الحيوية الهامة للولايات المتحدة الأمريكية".
وفي يناير 1980 يعلن كارتر صراحة عن مذهبه الملئ بالإدعاءات الإمبراطورية ويدشن مذهبه هذا بالإعداد لعملية إنقاذ الرهائن الأمريكان الـ 52 المحتجزين بطهران من قبل القوات الطلابية التابعة للثورة الإسلامية. إلا أن عملية "مخلب النسر" قد فشلت بعد انطلاقها مباشرة في 25 أفريل 1980 بسبب رداءة الجو والإصطدام الذي وقع في الجو بين الطائرة (د.س 130 D.C) والطوافة رقم 3 مما أدى إلى قتل جميع أعضاء طاقم الطائرة الخمسة وأعضاء طاقم الطوافة الثلاثة. ولم ينقذ الرهائن ولم يتم اختطاف الإمام الخميني كما خطط ذلك الأمريكان ولكن ما تم هو بداية أفول الحزب الديموقراطي وصعود نجم الجمهوريين مما سهل مهمة الإنتخابات الرئاسية في نوفمبر 1980 وفوز المرشح الجمهوري رونالد ريغان بسهولة، وانهزم كارتر بمرارة ليعلن انسحابه من عالم السياسة، وتسقط بعده ثلاثة انظمة ديكتاتورية، متعفنة في كل من ايران الشاه، ونيكاراغوا سوموزا، والفلبين ماركوس، ليعلن عن هيمنة جديدة للحزب الجمهوري المتشبع بمبادىء الهيمنة والسيطرة وحب القوة واستعمالها. وقد كان هذا إيذانا لإعلان السياسة الريغانية العسكرية والإقتصادية.

إن مذهب ريغان لا يختلف كثيرا عن مذهب كارتر من حيث المطامع التوسعية وفرض الهيمنة والوصاية على الشعوب وإنما يختلف من حيث استعمال الوسائل كالقوة ودرجة استعمالها. فالإدارة الأمريكية بقيادة الجمهوريين ونتيجة لتأثرها بأفكار المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية تحبذ دائما اللجوء إلى استعمال القوة وأسلوب الترغيب والترهيب وهذا ما جعل ريغان يقول في أكتوبر 1981 "أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تسمح للعربية السعودية بأن تغدو إيرانا جديدة... ولن تسمح لها بأن تقع في أيدي الذين يوقفون شحنات النفط الضرورية للغرب"[18] ويقرر ريغان تزويد العربية السعودية بطائرات على متنها منظومة رادارية للتحذير والإستكشاف (أواكس) بقيمة تتجاوز 8مليار دولار وهي أكبر صفقة تعقد في ذلك الوقت بين الدول. وتعلق جريدة الواشنطون

بوست الأمريكية على هذه الصفة بقولها:

"أن قرار حكومة ريغان ببيع [طائرات الأواكس] للعربية السعودية يدل على الإستراتيجية الدفاعية البعيدة المدى لأجل أبار النفط في الشرق الأوسط التي لم يرد الكلام عنها ولو مرة واحدة أثناء المناقشات في الكونغرس... إن هذه الإستراتيجية السرية التي وضعها ويطبقها أشخاص مسؤولون في الحكومات، تتيح لقوات الإنتشار السريع الأمريكية التحرك إلي " ما وراء الأفق" إلى هذه القواعد المتقدمة والإحياطيات المادية المهيأة سابقا إذا ما حاولت أية قوات معادية الإستيلاء على آبار النفط في الخليج العربي"[19]

وتضيف الواشنطون بوست قائلة : " يستفاد من مصادر أمريكية وأجنبية حسنة الإطلاع أن هذه الإستراتيجية موضوعة من أجل صد مختلف الأخطار: ابتدا ءا من عمليات التمرد المحلية وحتى الحرب الشاملة مع أية دولة أخرى كبرى"[20]

نعم هذا ما حدث فعلا خلال سنوات من سياسة التوسع الأمريكي المبنية على مبادىء القوة العسكرية والسياسية والإقتصادية ليجعل فعلا منطقة الخليج تحت فوهات البنتاغون كما حدث في العراق، وكل العالم الذي أصبح تحت المراقبة الأمريكية المبنية على الأسلحة الألكترونية المتقدمة التي تدعى "منظومة القيادة والسيطرة والاتصال ذات الحساسية العالية والمعروفة باسم س ـ 3 (أو3- C) أي Command Communication Control System. أو منظومة القيادة والسيطرة والإتصال والإستطلاع (C -3I) والتي كلف إنشاؤها ما يفوق الـ 50 مليار دولار.[21] ويبدو اليوم أكثر من أي وقت مضي، بأن أمريكا تقترب من تجسيد طموحها الذي أعلن عنه ترومان بأن القرن العشرين سيكون "قرن أمريكا" وهذا لعدم وجود بلد أقوى من الولايات المتحدة ويضيف ترومان نحن بامتلاكنا مثل هذه القوة، يجب علينا أن نضع على عاتقنا قيادة العالم"[22]. بعد 12 سنة يردد الرئيس الأمريكي جون كنيدي فكرة ترومان في خطاب لدى تسلمه منصب الرئاسة في يناير 1961 قائلا: " أن الولايات المتحدة الأمريكية وباسم الدفاع عن المصالح

الأمريكية في العالم بأسره، سوف تدفع أي ثمن، وسوف تتحمل أية أعبا، وتتغلب على أية مصاعب، وتؤيد أي نصير، وتقف بوجه أي خصم"[23]. ونفس هذه النغمة نسمعها مرة أخرى على لسان الرئيس بوش، الرجل الأول للبيت الأبيض، حين يصرح في 2 فبراير 1991 أمام النادي الإقتصادي لنيويورك قائلا:

- نحن الأمة التي تستطيع تشكيل المستقبل وإقامة النظام الدولي الجديد

- والتاريخ يتحرك بدقة نحو مستقبل جديد يفضل الأفكار الأمريكية.

- ومنطقة الخليج مهمة جدا للإقتصاد العالمي وشننا للحرب على العراق يدخل في إطار ضمان الإستقرار والسلم في المنطقة والعالم[24].

طبعا هذه النوايا والمطروحات والسياسات المعلن عنها والمجسدة في كثير من الأحيان - ليست بجديدة علينا وإنما تعود إلى أكثر من قرن مضى أي تعود إلى أفكار عصر التنوير، أفكار فولتير، وجورج واشنطون، وإبراهام لنكولن كما يوكد ذلك الأستاذ ميكائيل برينر في مقالته " باحثين عن المكانة الأمريكية" حيث يقول:

اليوم تعود أمريكا إلى أفكار عصر التنوير. إلى أفكار فولتير وجورج واشنطون وإبراهام لنكولن الذي يقول: كل فرد يقتل أخيه لأنه لاي يتفق معه، هو وحش ... يجب أن نتسامح مع بضعنا البعض لأننا كلنا ضعاف غير ثابتين، ومعرضين للتقلب والخطأ" أما فولتير فيقول " مواطني الولايات المتحدة الأمريكية لهم الحق في التهليل أو التصفيق لبعضهم لأنهم أعطو للبشرية سياسة حرة وموسعة. سياسة تستحق أن تقلد وتنسخ. أما لنكلون فقد حث الشعب الأمريكي في 1860 قائلا : " دعنا نتمتع بالإيمان بأن الحق يصنع القوة، وفي ذلك الإيمان، دعنا إلى النهاية، نتشجع على القيام بواجبنا كما نفهمه " لذا فإن الهدف النهائي للسياسة الأمريكية الخارجية ليس إذا إقامة التوازن ولكن نشر الحرية، وعليه فعلى أمريكا تقديم مساعداتها للشعوب التي تحتاج إلى إقامة النظم الديمقراطية ولكن تحت شرطين هما:

أولا : فيما إذا كانت الشعوب التي تطلب المساعدة تشاطر أمريكا القيم.

ثانيا: معرفة الدرجة التي تنوي هذه الشعوب أن تساعد نفسها"[25] فالمساعدة الإقتصادية الأمريكية يجب أن تشجع تنمية المؤسسات الرأسمالية كوسيلة وحيدة للإسراع في النمو الإقتصادي"[26] وهذا بدوره يؤدي إلى توفير المناخ الديموقراطي لأن الديموقراطية في نظر الغرب مرتبطة بالرأسمالية بل هي مساوية لها كما يذهب إلى ذلك الأستاذ بيتر ستينفلز في مقالته : " هل الرأسمالية تساوي الديموقراطية تساوي التعددية؟"[27] وفيها يبين الكاتب بأنه لا يمكن قيام نظام ديموقراطي بدون وجود نظام تعددي والذي يستدعي وجود نظام رأسمالي. إذا هناك علاقة سببية وتكاملية ثلاثية الأطراف بين الرأسمالية والتعددية والديموقراطية. ومذهب ريغان كما يدعوا إلى إقامة نظم ديموقراطية وتشجيعها يدعو كذلك إلى التدخل في الشؤون الداخلية للدول من أجل القضاء على النظم الشيوعية والديكتاتورية حتى ولو كان التدخل لا يتماشى ومبادىء القانون الدولي العام. بمعنى أن العملية الديموقراطية لها منطق وأسبقية على مبادىء القانون الدولي العام. وبالتالي تكون ترقية الحرية أهم من مخاطر الفوضى التي يمكن أن تنجم عن التدخل. وهكذا يعيدنا ريغان بمذهبه إلى مذهب هاري وترومان لعام 1946 ومذهب جيمس مونرو لعام 1823 . إلا أن إدارة جورج بوش (1988- 1992) خالفت تاكتيكيا فقط مذهب ريغان بخصوص الإنفراد في اتخاذ القرار إذ أن إدارة بوش وبعد تأكدها من انهيار الإتحاد السوفياتي بإمكانية وشعورها بتحقيق الإجماع مع الحلفاء، لجأت إلى التشاور من أجل ضمان تنفيذ قراراتها ورغباتها. وحرب الخليج تبين بوضوح مدى التشاور الذي حدث بين بوش وحلفائه الغربيين من جهة وبين الإدارة الأمريكية ومنظمة الأمم المتحدة من جهة ثانية.

تلك هي أهم المراحل التي اتسمت بها السياسة الأمريكية الخارجية وطموحاتها في السيطرة على العالم وقيادته في الإتجاه الذي يخدم مصالحها ومصالح حلفائها. ولايوجد بالتالي أي عنصر للمفاجأة. فما نشاهده اليوم هو استمرار لأفكار وسياسات تعود إلى حوالي قرن ونصف مضى. كما أن الأساليب المستعملة اليوم، كاللجوء إلى القوة،

واستعمال الضغط الإقتصادي، ليست بجديدة وإنما الشيء الجديد يكمن في الظرف الذي يتم فيه تنفيذ الهيمنة الأمريكيةوالسلام الأمريكي. "Pax-Americana" الذي لم يعجب الأمين العام الأممي السابق خافيير بيريزدي كويلار الذي صرح للتلفزة الفرنسية TF1 في 11 مارس 1991 قائلا: أعتقد أن منظمة الأمم المتحدة منظمة [للكل] حيث ينبغي لجميع الدول أن تقول فيها كلمتها. وإذا تحدثنا عن سلام أمريكي فهذا يعني في أذهان الناس أنه سلام مفروض. وإنني لمقتنع بأن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ليس في ذهنه سلام أمريكي فذلك سيكون أمرا غير مقبول وعودة إلى السلام الروماني الذي كان بالتأكيد ديكتاتورية دولية"(28). إذا ماهو متغير هو الظرف وهذا الظرف في معالجة النظام الدولي الجديد يتمثل في انهيار الإتحاد السوفياتي سابقا وانهيار المعسكر الشرقي والتالي إخلاء الساحة لأمريكا والمعسكر الغربي لفرض قواعد جديدة في العلاقات الدولية تقوم على أساس التوزيع الأحادي للقوة العالمية في أحسن حال (أي الأحادية القطبية) وليس التوزيع الثنائي كما كان عليه الحال منذ الحرب العالمية الثانية حينما كان الإتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية يتقاسمان العالم جغرافيا، واقتصاديا وأيديولوجيا، وعسكريا يميل مرة لصالح روسيا ومرات لصالح أمريكا. وهكذا لم تعد روسيا ذلك المنافس العنيد لأمريكا وإنما تحولت، خاصة منذ منتصف الثمانينات، إلى مناصر لأمريكا. فكيف حدث ذلك.

ثالثا : الإنهيار السوفيات وفكرة النظام الدولي الجديد:

يقول في هذا الصدد الأستاذ برينر بأن النظام الدولي الجديد بقيادة أمريكا ،وبموافقة الإتحاد السوفياتي" بدأت تظهر عناصره منذ تولية الزعيم السوفياتي السيد ميخائيل غورباتشيف سدة الحكم في 1985 وأظهر [هذا الأخير] بسرعة عزمه ونيته في إعادة النظر في الأيديولوجية الشيوعية كنظام سياسي واقتصادي واجتماعي داخلي، وكنظام جيوسياسي عسكري اقتصادي خارجي. وهنا بدأ الغرب يستبشر خيرا لأنه لم يعد يخشى الكارثة بل أصبح كله أمل وسعادة لمرحلة جديدة من السلم " مرحلة

أكثر من مرحلة التعايش السلمي. إنها مرحلة إنهاء الحرب الباردة الثانية ومرحلة تدعيم التعايش والوفاق الدوليين وتوسع نظاقهما. إنها مرحلة التفاؤل الشامل بالعمل في تناسق من المصلحة المشتركة بين الدول والشعوب وكان وراء هذا التفاؤل الشامل والسعادةالعليا مجموعة من المتغيرات التاريخية (epochal) في أوروبا وخارج أوروبا وهي:

1 ـ تحطيم جدار برلين أو كما يسميه الغرب جدار العار " وتحقيق الوحدة الألمانية وما تحمله من أبعاد في الآجال القريبة والمتوسطة والبعيدة المدى، على مشروع تشكيل أوروبا 1992 " أو البيت الأوروبي المشترك " رغم أن حرب الخليج قد أظهرت بشكل جلي تبعية هذه الأخيرة لواشنطن.

2 ـ انهيار دولة الإتحاد السوفياتي وحلول جمهوريات مستقلة محلها مما أثر على انهيار المعسكر الشرقي بكامله واختفاء دور حلف وارسو وبالتالي فنحن أمام ظاهرة انتهاء التنوع الأيديولوجي في عالم العلاقات الدولية والحياة السياسية الدولية وعودة إلى فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى.

3 ـ انتشار الديموقراطية والتعددية في دول أوروبا الشرقية سابقا مما سيسهل تعزيز التفاعل بين شرطي أوروبا وبروز التطور الفعلي لمفهوم البيت الأوروبي المشترك.

4 ـ تشكيل التجمعات الإقتصادية الكبرى بأوروبا وآسيا والتكتل الإقتصادي الأمريكي وتكتلات صغيرة على مستوى العالم الثالث، وهذا لتحقيق المزيد من الاعتماد الإقتصادي المتبادل داخل العالم المتقدم لضمان ربط مصالحها وتعزيز السلم بينها.

5 ـ إعطاء الأولوية لقضايا الإقتصاد والتكنولوجيا ومواجهة المشكلات العالمية الخطيرة كالتلوث والمديونية، والتضخم العالمي،والإرهاب الدولي، ومشاكل المخدرات ... الخ .

6 ـ العمل على عدم السماح لحلول لغة العنف والقوة محل لغة الحوار والمفاوضة كما حدث في حرب الخليج التي بينت بوضوح أن الدول الغربية لا تتردد عن استعمال القوة كما يقول ريمون آرون" في أي وقت وتحت أي ذريعة" .

7 ـ انتقال مواقع أقطاب الهيمنة من التعددية إلى الثنائية إلى الأحادية (Monopolat) على الأقل في الوقت الحاضر بأوربا تحت قيادة المانيا، وآسيا بقيادة اليابان، وبأمريكا الشمالية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، بالإضافة إلى إمكانية ظهور أقطاب إقليمية أو جهوية في كل من إفريقيا، والشرق الأوسط، وأوروبا الشرقية، وأمريكا اللاتينية وهذا ما يؤكد على أن المرحلة الحالية هي مرحلة سيولة ومبرونة وعدم الإستقرار مما يجعل من الصعب التكهن بما سيكون عليه المستقبل وفي نفس الوقت إمكانية عدم استقرار قواعد الحياة السياسية.

8 ـ احتمال استمرار عملية خفض موازنات الدفاع بالتسلح والبرامج العسكرية وانخفاض حمى السباق نحو التسلح التي طبعت فترة الـ 50سنة الماضية.

الهوامش :

1 ـ تصريح الرئيس جورج بوش لشبكات التلفزيون الأمريكية عشية الهجوم العراقي.

2 ـ محمد بجاوي، من أجل نظام اقتصادي دولي جديد، (باريس: اليونسكو، 1978) ص19.

3 ـ Jan Tinberger (A Noble prize - winming economist) Reshaping the International Order (New Jersey: New American Library, Inc, 1976) p5.

4 ـ جاء في مجلة الهدف (24 مارس) 1991 ص 30 أن النظام العالمي الجديد ماهو إلا محاولة تقوم من خلالها أمريكا " بتحديث الاستعمار الحديث والذي يجمع في حقيقة الأمر بين العناصر الجوهرية في الاستعمارين القديم والحديث في وقت واحد إن لزم الأمر.

5 ـ في تصريح لمستشار الأمن القومي الامريكي السيد روبرت قيتز لقناة التلفزيون الأمريكية (C.Span) يوم 7 فبراير 1991 قال بأن 28 دولة وقعت على فكرة النظام الدولي الجديد وفرضه على العراق.

6 ـ د/عبدأ ساعف، النظام العاملي الجديد : فرضية أم واقع ...؟ جريدة الشعب اليومية، 30 جانفي 1992 ص 9 .

7 ـ نفس المرجع .

8 ـ مصطفى عبد الله أبو القاسم خشيم، "علاقات التفاعل بين أعضاء المجلس الأمن في

إطار النظام العالمي الجديد: حالة أزمة حرب الخليج" . ملف مجلة المستقبل العربي: (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، مجلد 168 عدد 1993/2) ص73 .

9 ـ أسامة عكنان، إعصار الخليج : رياح الشرق تهب على مستقبل العالم (باتنة : دار الشهاب 1990) ص80 .

10 ـ نفس المرجع، ص 76 .

11 ـ د/عمار بوحوش، " الوجه الجديد للعلاقات الدولية" المساء ،1992/02/10)ص 4.

12 ـ هذه المعلومات مأخوذة من كتاب : إعصار الخليج ، ص 131 .

13 ـ نفس المرجع ، ص 132 .

14 ـ نفس المرجع، ص 132 .

15 ـ عرف لبيب عبد الستار الحرب الباردة بأنها تعني " كل نزاع يصل إلى حد القتال يعبىء له المعسكران الشرقي والغربي كل أساليب الضغط بغية الحصول على مكاسب معنوية ومادية "مجلة الوحدة، ع492 (29 ـ 4 ديسمبر 1990) ص 53 .

16 ـ ألكسي فاسليت، الخليج العربي تحت فوهات البنتاغون (موسكو: دار التقدم، 1984) ص 77 .

17 ـ نفس المرجع ، 87 .

18 ـ نفس المرجع ، ص 179 .

19 ـ نفس المرجع، ص 184 .

20 ـ نفس المرجع ، ص 185 .

21 ـ نفس المرجع ص 188 .

22 ـ الملاحظ أنه على أيام كينيدي بدأ التحرش في الشؤون الفيتنامية التي تطورت إلى حرب شاملة وطويلة ومدمرة لقرابة ثمانية سنوات (1965 ـ 1973) نفس المرجع ص29.

23 ـ Michael J.Brenner, "Finding America" place " in Foreign policy N°79 (Summer) 1990 p25.

24 ـ نشرة الأنباء العربية الصادرة عن وكالة الإعلام الأمريكية بواشنطون، الأربعاء 6 فبراير 1991، ص304.

25 ـ برينر " باحثين عن مكانة لأمريكا" السياسة الخارجية ، 1990 ، ص 23 .

26 ـ نفس المرجع، ص 23 .

27 ـ Peter Sterfels. " Does Capitalism Egual Pluralism Egual Democracy?" In Commonoeal, 11 February 1983.

28 ـ جريدة النصر ، 12 مارس 1991 ، ص 9 .